الباب الأول

العبادة

obeikandl.com

obeikandl.com

العبادة

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون لهذا المخلوق الجديد «الإنسان» مهمة في الحياة أو دور في الأرض مادام الله قد استخلفه فيها، وكانت هذه المهمة هي عبادة الخالق سبحانه وتعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذوالقوة المتين** ﴾[1].

والعبادة هي التوجّه الخالص إلى الخالق سبحانه وتعالى، والخضوع التام له. ويتوصّل بعض الناس إلى معرفة الخالق باستعمال العقل الذي منحهم الله إياه، والتفكير الدائم بآيات الله في هذا الكون ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[2].

فمعرفة الخالق والإيمان به أساس العبادة.

(١) سورة الذاريات : الآيات ٥٦-٥٨. (٢) سورة آل عمران : الآيتان ١٩٠-١٩١.

obeikandl.com

الفصل الأول:

الإيمـــان

لما كان هناك تفاوت في عقول بني البشر، لذا لم يستطع الجميع معرفة الخالق عن طريق التفكير ، واتخاذ العقل، وللعقل أساساً حدود في الإمكانات لا يتعداها ولا يمكن الاعتماد عليه، لهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث في كل أمةٍ رسولاً منهم، يعرفهم بالله الخالق، المنعم، العزيز، الرؤوف، الرحيم ، ويعلمّهم الكتاب الذي جاء به، وفيه العبادة، والمنهج الذي يصلح للناس في جوانب حياتهم كلها، ويكون أحد الملائكة وهو جبرائيل، عليه السلام، الصلة بين الله ورسله. وهذا يقضي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله. ومن مقتضى العدل أن يُسأل كل امرىءٍ عمّا قدّم، وما اقترف، ويكون السؤال للناس جميعاً، ولا يمكن أن يكون إلا بعد انتهاء الحياة على الأرض ، حيث يُجمع الناس جميعاً، ذلك هو اليوم الآخر، يوم القيامة، وهذا ما يجب أن يؤمن به كل إنسانٍ وبذا أصبح الإيمان يشمل : الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، إضافةً إلى القضاء ومايجري في هذا الكون كله من الله عزّ وجلّ.

وعلى المؤمن الاستسلام لله بجوارحه كلها، وهذا يستدعي من المؤمن أن يُؤدّي بعض الأقوال، والأعمال بمختلف الجوارح، وبعض ما يملك، صادقاً بما يُؤدّي، مخلصاً لله، فالإيمان بالكلام لا يجدي فلا بد من أن يُصدّقه عمل ، كما أن العمل دون إيمان لا يفيد أيضاً.

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، قال : حدّثني أبي عمر بن الخطاب، قال : بينما نحن عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفّيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً) قال: صدقت. قال : فعجبنا له، يسأله ويصدّقه. قال فأخبرني عن الإيمان . قال (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه) قال : صدقت. قال : فأخبرني عن الإحسان. قال (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك). قال : فأخبرني عن الساعة قال : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل). قال : فأخبرني عن أمارتها. قال : (أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان). قال : ثم انطلق. فلبثت ملياً ، ثم قال لي : (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم)[1].

فالإيمان إيمان بالغيب والشهادة ، فالله ، والملائكة، واليوم الآخر، وقضاء الله، أمور مغيّبة علينا، وقد عرفنا الله سبحانه وتعالى بآياته ومخلوقاته ، وفي أنفسنا ، وعرفنا الملائكة عن طريق رسله ، وكذا اليوم الآخر . أما الرسل فقد شاهدهم من عاش في أيامهم، وقد نقلت لنا

(١) رواه مسلم.

أخبارهم بدقةٍ ، وكتاب الله نلمسه بأيدينا ، ونقرؤه ، وقد أخبرنا كل هذا فصدّقنا وآمنا .

ويُصدّق العملُ الإيمان، فآمنا بالله وحده لا شريك، ومحمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والرسل ، ونؤدّي الصلاة خمس مراتٍ يومياً، ونؤدي الزكاة، ونصوم رمضان سنوياً، ونحجّ مرةً في العمر إن استطعنا، هذا ما فُرض علينا، ومن زاد فهو تطوّع، وتقرّبٌ إلى الله. وفي هذا العمل قول، وفعل، ومشقّة بدنية، وتقديم مال.

واقتضت حكمة الله أن يبعث في كل أمةٍ رسولاً، ثم بعث محمد بن عبدالله رسولاً للبشر كافةً على اختلاف ألوانهم، وشعوبهم، ولغاتهم، وكانت رسالته جامعةً لما قبلها، وناسخةً لها. عن أبي هريرة، عن رسول الله، صلى الله ﷺ أنه قال : (والذي نفس محمد بيده ! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[1].

وليست العبادة هي ما ذكرنا فقط بل تشمل جوانب الحياة كلها، وكل عمل يقصد به طاعة رسول الله ﷺ، فهو طاعة لله ، وهو عبادة ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[2]. عن جابر بن عبدالله رضي الله، عنهما، عن النبي ﷺ قال : (كل معروفٍ صدقة)[3]. وقال رسول الله ﷺ : (اتقوا النار ولوبشق تمرةٍ ، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ)[4].. وعن أبي ذرٍ، رضي الله عنه، قال : قال لي رسول الله ﷺ : (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ)[5].

(١) رواه مسلم. (٢) سورة النساء : ٨٠ . (٣) رواه البخاري .
(٤) رواه البخاري. (٥) رواه مسلم.

وحتى تكون العبادة صحيحةً يجب أن تكون خالصةً لله سبحانه تعالى لا يشوبها شيء من الشوائب مهما قلّ وصغر ، أي أن يكون الباعث على العمل الذي يقوم به المرء هو ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى لا يشوب هذا الباعث أي شيءٍ من أهواء الدنيا ، ورغبات النفس ، وأن تكون النيّة سليمةً، وأن يوافق القول العمل ، وأن يكون منسجماً مع المنهج الإسلامي.

obeikandl.com

الفصل الثاني:

إعمار الأرض

لما كان الإنسان مستخلفاً في هذه الأرض كان عليه إعمارها حتى تقوم الحياة وتستمر . عن أنس، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير ، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة)[1].

عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبُعُ منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولايَرْزَؤُهُ أحد إلا كان له صدقة [2].

وبهذا حثّ الإسلام على زراعة الأرض وإعمارها، وعندما لا يتوفّر من يعمل بالأرض، لانصراف المسلمين إلى الجهاد ، أو لعدم الخبرة كان رسول الله ﷺ يترك الأرض المفتوحة حرباً بيد أصحابها يعملون فيها، ويكون لهم نصف الإنتاج، وهذا ما عامل به يهود خيبر . عن ابن عمر : أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وكان

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.

رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر ، أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله، ولرسول الله ﷺ ، وللمسلمين، وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ : ليُقرّهم بها أن يكفوا عملها، ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : (نُقرّكم بها على ذلك ما شئنا) فقرّهم بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء[1].

وفي عهد الفاروق ، رضي الله عنه، فُتح العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر وجهات أخرى ، وقد كان فتح معظمها عنوةً، وأقلّها صلحاً. وما فُتح عنوةً يقسم أربعة أخماسٍ للمجاهدين، والخمس لله ولرسوله، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، شأنه في ذلك شأن الغنائم من الأموال والمتاع . وقد رأى عمر ، رضي الله عنه، أن المجاهدين قد حصلوا على غنائم كثيرةٍ، وإذا قسمت عليهم الأرض المفتوحة ازدادوا ثراءً ، وبقي بعد ذلك أناس في الأمصار لا يجدون ما ينفقون، وربما أخلد الأغنياء إلى الراحة ، وانصرفوا إلى الدنيا فتتوقّف الدعوة ، ويتوقّف انتشار الإسلام، ولا تكون موارد للأجيال القادمة ما كان لمن سبقهم بالإيمان من إخوانهم. وقد لا يفتح المسلمون بعد ذلك مثل هذه الفتوحات، فمن أين تأتي النفقات لأولئك المرابطين في الثغور ؟ ومن أين تأتي نفقات الأرامل واليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ واستشار الصحابة ، ورأى إبقاء الأراضي المفتوحة لمصلحة المسلمين عامةً في الحاضر والمستقبل، ووافقه على ذلك عثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل ، وعبدالله بن عمر ، فبقيت الأرض بأيدي أصحابها السابقين يعملون فيها، ويدفعون عنها الخراج، وهو نصيب مما تخرج الأرض. وهذا قريب مما عامل به رسول الله ﷺ ، أهل

(١) رواه البخاري ٢٣٣٨.

خيبر من اليهود . وذلك أن أصحاب الأرض أدرى بزراعتها واستغلالها.

وكذا شجّع الإسلام على إحياء الأرض الموات ، حتى تُستغلّ ولاتبقى بوراً أو سباخاً لا يُستفاد منها. عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبيّ ﷺ قال : (من أعمر أرضاً ليست لأحدٍ فهو أحق)[1]. وفي رواية : (من أحيى أرضاً ميتةً فهي له).

والإنسان لا بدّ من أن يعمل ولوكان غنياً، وصاحب أراضٍ واسعةٍ تكفيه، وتزيد عنه، لأن الفرد ملك للأمة، والأمة بحاجةٍ إلى مزيد من الإنتاج، فإن استغنى فرد، وتوقّف عن العمل، ذهبت طاقاته هدراً، وقلّ إنتاج الأمة بمقدار طاقاته وإمكانات إنتاجه،فإذا كثر الأفراد الذين لا يعملون تناقص الإنتاج كثيراً، وغدت الأمة بحاجةٍ إلى إنتاج غيرها، ولهذا نتائجه الخطيرة، وكان الترف مذموماً، وكانت الأمم تبدأ بالانحدار والتراجع بعد أن تصل إلى القمة والثراء حيث يكثر المترفون، ويقلّ المنتجون .

وأما ما حصل عليه المسلمون من غير قتالٍ فهو الفيء ، ويختلف عن الغنيمة ، حيث يقسم إلى أربعة أخماس تكون لله ورسوله ، والخمس الباقي يقسم كما تقسم الغنائم ، ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولةً بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب**﴾[2] .

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

obeikandl.com

الفصل الثالث:

تطبيق المنهج

ولما كان المنهج الإسلامي من عند الله، ويشمل جوانب الحياة جميعها، فهو المنهج الوحيد الصالح للبشر مادام من عند خالقهم، فهو أدرى بهم، وبما يصلح لهم . وكل فردٍ مسؤول عما تحت يده . عن عبدالله بن عمر ، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته)[1]. فكل إنسانٍ مسؤول حسبما عُهد إليه فالرجل مسؤول عن نفسه وعن أهله، ومسؤول بتطبيق المنهج على نفسه، وأسرته ، والإمام مسؤول عن حكم رعيته حسب المنهج الإسلامي، فالتساهل والتهاون في ذلك فسق ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[2]. والإهمال لذلك المنهج ظلم ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[3]. ويجب ألا نستخفَّ بكلمة - الظلم ﴿ **يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[4]. فالظلم قريب من الشرك. أما عدم تطبيق شريعة الله إنكاراً

(١) متفق عليه.
(٢) سورة المائدة : الآية ٤٧.
(٣) سورة المائدة : الآية ٤٥.
(٤) سورة لقمان : الآية ١٣.

وجحوداً، واستبدالها بمناهـج أخرى من وضع البشر ، فهـو كفر صريح ، وابتعاد عظيـم عن جـادة الحق ﴿ **ومن لم يحكـم بما أنزل الله فـأولئك هـم الكافرون** ﴾[1]. وذلك لأن هذا المنهج من عندالله، وأُمـرنا باتباعه وتطبيقه على من نـرعاهـم حيث فيه الخير العميـم للبشركافـةً ، والبعدعنـه فساد عظيم في الأرض.

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤.

obeikandl.com

الفصل الرابع:

الدعـــــوة

من واجب المسلم الـدعوة إلى الله، وقد أُمرنا بذلـك ، فعلينا التنفيذ . عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال : (بلّغـوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولاحرج، ومن كذب عليّ مُتعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار)[1].

والمسلم يحبّ الخير للنـاس جميعاً، وقـد عرف الخير واتبعـه، فعليه أن يدعو الآخرين إليه، ويُعـرّفهم مالم يعرفوا، ويُبيّن لهم مالم يتبيّن لهم ، وهذا هو الدعوة ، وهو الواجب عليه أصلاً.

غير أن بعض الناس يرفضون ذلك حـرصاً على شهواتهم ، ودفاعاً عن مراكـزهم ، وحمايةً لرغبـات نفوسهم، وحسـداً من أن يكون الداعيـة من غيرهم ، وبطـراً من أن يُدعـى ممن هو دونـه حسب تصوّره القـاصر. وهنا لابدّ مـن الجهاد تحقيقاً لواجـب الدعوة وتنفيـذاً لأوامر الله ﴿ **فليقاتل في سبيل الله الـذين يشرون الحيـاة الدنيا بـالآخرة ، ومـن يقاتـل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نـؤتيه أجراً عظيماً** ﴾[2]. وعن أبي موسـى أنه قال ، وهو بحضرة العـدو : قال رسـول الله ﷺ : (إن أبواب الجنـة تحت ظلال السيوف) فقام رجل رثّ الهيئة ، فقال : يا أبـا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول : هذا ؟ قـال : نعم. قال : فرجع إلى أصحابـه ، فقال : أقرأُ

(١) رواه البخاري ٣٤٦١.
(٢) سورة النساء الآية ٧٤.

عليكم السلام ثم كسرجفن سيفه فألقاه. ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتل [1].

وعن سالم أبي النضر، مولى عمر بن عبيدالله ، وكان كاتباً له ، قال : كتب إليه عبدالله بن أبي أوفى فقرأته : إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً قال : (أيها الناس ، لا تتمنّوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف). ثم قال : (اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)[2].

فالقتال آخر مراحل الجهاد ، وأعلاها مرتبةً ، فالشهداء مأواهم الجنة، وهم مع النبيين والصديقين والصالحين ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾[3].

والجهاد أنواع تختلف حسب المراحل ، والظروف والمجتمع.

فمجاهدة النفس جهاد ، وبيان الحق باللسان والقلم جهاد ، والصبر على الأذى النفسي جهاد ، والصبر على الأذى البدني جهاد ، والثبات على الحق جهاد . كما يختلف الجهاد بين عدوّ وآخر فجهاد المنافقين باللسان، وجهاد الكفار باليد ، كما يتباين الجهاد بين مرحلةٍ وثانيةٍ ، فيكون الجهاد في بداية الدعوة باللسان، والسلوك، وكذا عندما يكون المسلمون قلّةً ، ولكن عندما تكون للمسلمين دولة وقوة فالجهاد عندها بالسيف.

---

(١) رواه مسلم

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة النساء الآية ٦٩.

فالعبادة إذن :

١ - إيمان بالقلب ، وتصديق ، وتطبيق بالجوارح.

٢ - إعمار الأرض بحقٍّ كما أراد الله تعالى .

٣- تطبيق لمنهج الله في جوانب الحياة جميعها.

٤ - دعوة إلى الله، وجهاد لحماية الدعوة ، وأهلها ، وديارها.

ولماكان رسول الله ﷺ سيد المجاهدين لذا فلنتتبع جهاده من خلال سيرته ﷺ ، لنتعرّف على الجهاد ، وأنواعه ، ولنبين الحق كما يتراءى لنا من خلال هذه الدراسة.

obeikandl.com